اسميا واستقروا في الجزء الجنوبي الغربي من البلاد ، وبقيت اللغة العبرية لغة مقدسة بين اليهود ، كما كان المثقفون من اهل البلاد يكتبون باليونانية ، وتمسك العرب في البوادي بلغتهم العربية • ولم يجد سكان فلسطين ما يستعيرونه من الحضارة الرومانية الا القليل ، مع ما عندهم من حياة اجتماعية وفكرية واقتصادية راقية • وقد بقي الادب اللاتيني بالنسبة لهم كتابا مغلقا ، ولكن الحكم الروماني اهتم بطرق المواصلات ، فرصف عددا من الطرق في فلسطين وسورية عموما واقام عددا من الجسور ، الامر الذي ساعد على دفع جماعات من البدو نحو حياة الاستقرار ، ويسجل للادارة الرومانية انها فتحت امام البلاد سوقا عالمية •

ولقد شجع استتباب الامن وتوسع شبكة الطرق وظهور تجارة عالمية جديدة الانتاج الاقتصادي في البلاد الى حد لم يعرف قبلا ، وتجلى الازدهار في ارتفاع مستوى المعيشة بين السكان الذين تزايد عددهم حتى قارب المليون في فلسطين وسبعة ملايين في سورية الكبرى كما تجلى في العناية بالمدن •

وازدهرت الزراعة في البلاد وتحدثت الكتابات اللاتينية عن اشجار سورية التي ادخل بعضها الى ايطاليا وعن شهرة فطر اورشليم وبصل عسقلان ، وعن كبر ثمر البلح وحلاوته ووفرة اشجاره في الغور وعن الكروم الواسعة في الخليل والجليل وغزة وانتشرت البستنة واعتنى الناس «بالجنائن» ، وساعد على اتساع الزراعة استعمال الالات المائية والمعاصر وطرق التسميد الراقية وعناية الرومان بمشاريع الري وانشاؤهم القنوات •

كذلك ازدهرت الصناعة واشتهرت خمور غزة وعسقلان والجليل ، كما اشتهرت المدن الساحلية بصناعة صبغة الارجوان وبنسيج الحرير • وكان الزجاج يصنع قرب عكا ، واستخرج الملح من السواحل عموما والزفت من البحر الميت والنحاس من منطقة اريحا •

وكانت التجارة المورد الرئيسي للثروة ، وقد فاق التجار في الغنى ارباب الصناعة والملاكين الزراعيين ، وكان هؤلاء التجار من اهل البلاد وبقيت التجارة فردية واستمرت تجارة العبيد في الازدهار ، وكانت المدن الساحلية ومدن القوافل هي مراكز التجارة وهي اغنى المدن ، وقد صدرت النبيذ والارجوان والتمر والسمك ، واستوردت الخزف والبهارات والحرير والجواهر ، وبلغت المبادلات التجارية ذروتها ابان الحكم الروماني في عصره الذهبي •

ولم يطرأ تغير جذري على الحياة الاجتماعية في فلسطين خلال ذلك العهد فبقي المظهر العام لحياة الريف كما كان ، وعاش الفلاحون في القرى الكثيرة على انتاج الكروم والمزارع ، وكانت بعض الاراضي المحيطة بالقرية مشاعا وتؤلف مصدر ايراد للقرى ، وملك بعض الافراد القرى • وليس هناك وثائق